الترديد والتجديد

نحتفل ببلوغ مجلة « البعثة » عامها الثالث ، لا لأنها أمنية طالما تمنيناها لتسد فراغاً فى مجتمعنا الحديث ، ولتكون أول بادرة من بوادر الصحافة الأدبية عندنا وحسب ، بل لأنها تمثل إرهاصات نهضتنا الفكرية ، ومقدمة من مقدمات نشاطنا الأدبي الجديد ، فلنأمل لمجلتنا العزيزة عمراً مديداً ، وسبقاً جديداً ، وتقدماً سريعاً . ولنتحدث بهذه المناسبة عن التجديد . . .

نحن الآن ، ولا شك ، على أبواب نهضة أدبية ، دليلنا عليها هذا الوعى الفكرى وهذه المساهمة من أدبائنا وشعرائنا فى حقل الانتاج ، تلك المساهمة التى وإن كانت حتى الآن ضئيلة ، إلا أنها ، على وجه العموم ، تبشر بمستقبل زاهر لأدبنا الحديث . وما دمنا فى أول الطريق فان من الضرورى أن نرسم لنا وجهة أدبية ننتهجها فى الأيام المقبلة ، لأن السير دون هدف واضح ، وبلا خطة معلومة إنما هو مضيعة للوقت وفوضى ، وهنا يتعين علينا أن ننظر فى الاتجاهات الأدبية فى أقطار العروبة الأخرى عامة ، لنقتنى لنا منها طريقة ، نستطيع بها مجاراة النشاط الأدبى فى البلدان الأخرى ، فى أقل ما يمكن من الوقت ، على أن تمتاز تلك الطريقة بملاءمتها لأحوال بيئتنا وانسجامها مع نفسية مجتمعنا ، وهذه الميزة تساعد عامل السرعة الضرورى أيضاً . .

هناك طريقان أساسيان لا ثالث لهما فى الاتجاهات الأدبية الحديثة ، قام حولهما جدال طويل وبينهما نضال مرير ، فى شرقنا العربى منذ مستهل هذا القرن ، ولا تزال معركتهما حتى اليوم ، فى بعض نواحى الوطن العربى الأم ؛ وأعنى بهما : الأدب العربى القديم ، والأدب العربى الحديث ، أو على الأصح التقليد والتجديد فى الأدب . ولقد خفت صوت الجدل ، وهدأ النزاع أخيراً بتغلب فكرة التجديد على فكرة التقليد ، وآمن كبار الكتاب من أدباء وشعراء فى الأقطار الشقيقة بفائدة الأولى وعقم الثانية ، وانتصار فكرة التجديد لم يكن لأن مفكرى العالم الغربى قد اعتنقوها بل لأنها الصواب كذلك .

وعلينا نحن أن نختار أحد الطريقين ، بل علينا أن نعتنق فكرة التجديد بالذات ، دون أن نضيع الوقت فى الجدل العقيم لنرى أيهما الأصوب ، ذلك لأن النتيجة الحتمية لذلك الجدل ، ستكون ولا ريب الوصول أخيراً إلى ما وصل إليه قادة الفكر ، ولكن البت المباشر سيكسبنا وقتاً قضاه غيرنا فى نقاش لا طائل تحته .

فعلى كتابنا وشعرائنا إذن أن يسلكوا طريق التجديد فى الشعر والنثر . . . عليهم أن يخلقوا أدبهم خلقاً ، أو على الأقل عليهم أن يحاولوا ابتكار معانى جديدة وفكراً حية ، وأن يعبروا عنها بأسلوب مبتكر أيضاً ، على أن يكون تعبيرهم ذاك تعبيراً صادقاً حقيقياً صادراً عن الوجدان لا زيف فيه ولا افتعال . فيبرزوا لنا فى شعرهم ونثرهم صوراً تختلج بها مشاعرهم ، فلا يصف الشاعر منهم منظراً لم يره فى الواقع ولم توحه له

مخيلته الشعرية إيحاءاً ذاتياً ، ثم إن عليهم أن يستخدموا مواهبهم فى رسم ما يرونه فى بيئتنا ومجتمعنا من عادات وتقاليد ومشاكل اجتماعية وأخلاقية ، ويعالجوا شجب الضار من معتقداتنا الاخلاقية والاجتماعية والابقاء على النافع منها ، وبذلك يتخلصون من الترديد الممل والتقليد الأعمى والمحاكاة الجامدة .

إن اجترار الآراء والأفكار التى خلدها لنا شعراء العرب وكتابهم القدماء إنما هو الجمود بعينه لأننا لن نستفيد من هذا العلك شيئاً ، إنما المجدى هو أن نحاول نحن أن نخلد أشياء جديدة للأجيال المقبلة . وترديد ماقيل من آراء ونظريات وأفكار قديمة ، سهل ميسور لكل من يدلى دلوه ، لأن أقصى مايصنعه المقلد هو أن يضع لفظة مكان أخرى ، وقل أن تجد معنى قديماً كساه المقلد حلة أفضل مما كان فى الأصل .

أحكم على من يطالب بابقاء القديم على قدمه أو تقليده ومحاكاته بأنه مفلس لا بضاعة عنده ، فهو يريد أن يجتر ما قيل ليظفر منك بالانتساب لدولة الشعر أو النثر من أيسر السبل .

كتب صديق السيد عبدالله الصانع فى العدد الثالث من مجلة « كاظمة » بحثاً فى موضوع مشابه لموضوعنا هذا ، وأنا لا أريد أن أقول شيئاً عنه ، بيد أن لى كلمة أحب أن يتسع لها صدر الصديق العزيز وهى أنه كان من الأفضل والأجدى علينا وعلى الأدب العربى الحديث ، أن يخرج لنا الدكتور طه حسين كتاباً عن محنتنا فى فلسطين ، أو عن محاربة الأمية فى الشرق العربى من أن يكتب لنا عن « الفتنة الكبرى » وليس هذا انتقاصاً منى لهذا المؤلف القيم ، وما أنا ممن يبخس الدكتور حقه الكبير وفضله الأعظم ، ولكن ألا يرى الصديق أن فى العالم العربى — بأحداثه الحاضرة ومشكلاته الاجتماعية وتعدد بيئاته وتباين عاداته — مجالا أوسع لخدمة الفكر العربى الحديث يستأثر بوقت المفكر وجهده فى التهذيب والتقويم والخلق الجديد وتوخى المصلحة الآتية والمستقبلة لمجتمعنا العربى عامة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى نرى أن أكثر كتابنا وشعرائنا قد أمضوا نصف القرن الأخير فى تكرار ما قاله الأولون ، يرددون معانيهم ذاتها ، ويقلدون أساليبهم عينها ولا يخرجون عن دائرة تفكيرهم أبداً ، حتى أنهم لم يتركوا لنا نحن شيئاً نكرره ! ! ولم يبقوا لنا ما نقلده ! ! . . أرأيت ؟ . . كيف أن دعوتنا إلى التجديد والخلق يفرضها علينا الاضطرار أيضاً ، فان ذهبنا نقلد التقليد ونكرر التكرار انحططنا إلى مستوى السخف والهذيان ، وحينئذ يذهب إنتاجنا جفاءاً ، لأنه لن ينفع الناس ، فعلينا إذن أن نحشد مواهبنا ونعد ثقافتنا لابتكار أشياء جديدة ، ومعالجة قضايا الساعة ، ومشكلات الحاضر الذى نعيش فيه ، وليكن لنا من ماضينا العربى المجيد مايدفعنا لخلق حاضر جديد ، ومستقبل جدير بالخلود ولنستوح آدابنا القديمة معانى وأفكاراً خليقة بأن نضيفها إلى تلك الآداب الرفيعة ، فلا نظل كما نحن الآن ندور حول أنفسنا كساقية جحا .

حمانا — لبنان

فريد يوسف الدويرى

إن المرأة التى سلبت نفسها ورأيها وحرمت نصيبها من الوجود ، ووسمت بوسام من الذل والهوان لا تكون امرأة فاضلة ، ولا تتكشف عن أمة فاضلة ذلك لأن المرأة إذا استشعرت المهانة من ذويها هانت عليها نفسها وأحر بمن هانت عليه نفسه ألا يمتنع عن دنية ولا يعتصم من منقصه .

« من كتاب المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها »
للشيخ عبدالله عفيفى بك